

تأليف

الإمام شيخ الإسلام
محمد بن سليمان التميمي
رحمه الله

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة
١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع : ٧٤٨٠ / ٢٠٠٢
طبع بدار نوبار للطباعة



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد للَّه الذي يستدل على وجوده ببدائع ما له من الأفعال، المنزّه في ذاته وصفاته عن النظائر والأمثال، أنشأ الموجودات فلا يعزب عن علمه مثقال.

أحمده سبحانه وأشكره إذ هدانا لدين الإسلام، وأزاح عنا شبه الزيغ والضلال، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له شهادة مُوَحّدٍ له في الغدو والآصال، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله نبي جاءنا بدين قويم، فارتوينا مما جاءنا به من عذب زلال، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه الذين هم خير صحبٍ وآل، وسلم تسليمًا.

أما بعد،

فقد طلب مني بعض الأصدقاء الذين لا تنبغي مخالفتهم أن أجمع مؤلفًا يشتمل على مسائل أربع، وقواعد أربع،

يتميز بهن المسلم من المشرك.

الأولى: أن الذي خلقنا وصورنا لم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسولًا معه كتاب من ربنا، فمن أطاع فهو في الجنة ومن عصى فهو في النار، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

الثانية: أنه سبحانه ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده مخلصين له الدين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

الثالثة: أنه إذا دخل الشرك في عبادتك بطلت، ولم تقبل، وأن كل ذنب يرجى له العفو إلا الشرك، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن نوع هذا الشرك: أن يعتقد الإنسان في غير الله من نجمٍ أو إنسان، أو نبي، أو صالح، أو كاهن، أو ساحر، أو نبات، أو حيوان، أو غير ذلك أنه يقدر بذاته على جلب منفعة من دعاه أو استغاث به، أو دفع ضره، فقد قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ

إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

أنه عز وجل بهذه الصفة وجب أن لا يستغاث إلا به، ولا يستعان إلا به ولا يُدعى إلا هو، ولذلك قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وقال تعالى موبخًا لأهل الكتاب الذين يستغيثون بعيسى وعزير عليهمـــا السلام لما أنزل اللّه عليهم القحط والجوع: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ

ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ومن نوع هذا الشرك، التوكل، والصلاة، والنذر، والذبح لغير الله، قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[المائدة: ٣]. وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ومن نوع هذا الشرك: تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله واعتقاد ذلك، فقد قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ

أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال عدي بن حاتم: يا رسول اللّه ما عبدوهم، فقال رسول اللّه ﷺ: **«أما أحلوا الحرام فأطاعوهم، وحرموا الحلال فأطاعوهم»** قال: بلى، قال: **«فتلك عبادتهم»** وأحبارهم ورهبانهم: علماؤهم وعبادهم، وذلك أنهم اتخذوهم أربابًا وهم لا يعتقدون ربوبيتهم، بل يقولون ربنا وربهم اللّه ولكنهم أطاعوهم في تحليل ما حرّم اللّه وتحريم ما أحل اللّه وجعل اللّه ذلك عبادة، فمن أطاع إنسانًا عالمًا أو عابدًا أو غيره في تحريم ما أحل اللّه أو تحليل ما حرم اللّه واعتقد ذلك بقلبه فقد اتخذه ربًا كالذين ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ومن ذلك أن أناسًا من المشركين قالوا: يا محمد. الميتة من قتلها؟ قال: «اللّه»، قالوا: كيف تجعل قتلك أنت وأصحابك حلالًا، وقتل اللّه حرامًا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ

عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[1] [الأنعام: ١٢١].

ومن نوع هذا الشرك: **الاعتكاف على قبور المشهورين** بالنبوة أو الصحبة أو الولاية، وشد الرحال إلى زيارتها لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعاءه فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك، فتارة يسألونه، وتارة يسألون الله عنده، وتارة يصلّون ويدعون الله عند قبره، ولما كان هذا بدء الشرك سد النبي ﷺ هذا الباب، **ففي الصحيحين أنه قال** في مرض موته: «**لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يُحَذِّر ما صنعوا، قالت عائشة: «ولولا ذلك لأبرزَ قبرُهُ ولكن كره أن يُتَّخَذَ مسجدًا»[1].

وقال ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا عليّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني**»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٦٩) كتاب تفسير القرآن.

(٢) رواه البخاري كتاب الجنائز، ومسلم.

وقال ﷺ: **«لعن الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»**(١).

وفي «الموطأ» عنه ﷺ أنه قال: **«اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»**. وفي صحيح مسلم عن علي قال: «بعثني **رسول الله أن لا أدع قبرًا مشرفًا إلا سويته ولا أدع تمثالاً إلا طمسته**»،(٢) فأمر بمسح التماثيل من الصور الممثلة على صور الميت والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره فإن الشرك يحصل بهذا أو بهذا.

وبلغ عمر رضي الله عنه أن قومًا يذهبون إلى الشجرة التي بايع النبي ﷺ أصحابه تحتها فأمر بقطعها، وأرسل إليه أبو موسى أنه ظهر بتستر قبر دانيال وعنده مصحف فيه أخبار ما سيكون وفيه أخبار المسلمين، وأنهم إذا جدبوا كشفوا عن القبر فمطروا، فأرسل إليه عمر يأمره أن يحفر في النهار ثلاثة عشر

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٤٢) كتاب المناسك.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٦٣٠) نووي.

قبرًا ويدفنه بالليل بواحد منها لئلا يعرفه الناس فيفتنون به .

واتخاذ القبور مساجد مما حرّم الله ورسوله ، وإن لم يبن عليها مسجد ، ولما كان اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها محرمًا ، لم يكن من ذلك شيء على عهد الصحابة والتابعين ، وكان الخليل عليه السلام في المغارة التي دفن فيها ، وهي مسدودة لا أحد يدخلها ، ولا شد الصحابة الرحال إليه ولا إلى غيره من المقابر ، ففي الصحيحين عنه ﷺ قال : «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا**»[1] .

فكان من يأتي منهم إلى المسجد الأقصى يصلون فيه ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل عليه السلام ولا غيرها ، وكانت مسدودة حتى استولى النصارى على الشام في أواخر المائة الرابعة ، وجعلوا ذلك مكان كنيسة ، ولما فتح المسلمون البلاد اتخذه بعض الناس مسجدًا ، وأهل العلم ينكرون

(١) رواه أيضًا النسائي (٤/ ٩٤) كتاب الجنائز .

ذلك، وهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الأولون يقصدونها فإنها محل الشرك، ولهذا توجد فيها الشياطين كثيرًا، وقد رآهم غير واحد على صورة الإنسان يتلون لهم الغيب، فيظنون أنهم رجال من الإنس غائبون عن الأبصار وإنما هم جن، والجن يسمّون رجالًا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وما حدث في الإسلام من هذه الخرافات وأمثاله ينافي ما بعث الله به محمدًا ﷺ من كمال التوحيد وإحياء الدين، وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان.

ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد والإخلاص، ومعرفة الإسلام أكثر تعظيمًا لمواضع الشرك، فالعارفون لسنة محمد ﷺ أولى بالتوحيد، والإخلاص، وأهل الجهل بذلك أقرب إلى الشرك والبدع، ولهذا يوجد في الرافضة أكثر مما يوجد في غيرهم، لأنهم أجهل من غيرهم وأكثر شركًا وبدعًا، ولهذا يعظمون المشاهد ويخربون المساجد،

فالمساجد لا يصلون فيها جمعة ولا جماعة، وأما المشاهد فيعظمونها حتى يروا زيارتها أولى من الحج، وكلما كان الرجل أتبع لدين محمد ﷺ كان أكمل توحيدًا لله وإخلاصًا لدينه، وإذا أبعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك فإذا أكثر بعده عنه ظهر فيه الشرك والبدع مالا يظهر فيمن هو أقرب منه لاتباع الرسول ﷺ، والله إنما أمر بالعبادة في المساجد وذلك عمارتها فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨] ولم يقل مشاهد الله، وأما نفس بناء المساجد فيجوز أن يبنيه البر والفاجر وذلك كما قال ﷺ: **«من بنى مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة»**[١]. ثم كثير من المشاهد أو أكثرها كذب، كالذي بالقاهره على رأس الحسين رضي الله عنه فإن الرأس لم يحمل إلى هناك، وكذلك

(١) رواه البخاري (١١٨٩) باب فضل الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومسلم (٣/٥٤١) شرح نووي.

مشهد عليّ إنما حدث في دولة بني بويه، قال الحافظ وغيره: هو قبر المغيرة بن شعبة، وعلي إنما دفن بقصر الإمارة بالكوفة، ودفن معاوية بقصر الإمارة بدمشق، ودفن عمرو بن العاص بقصر الإمارة بمصر خوفًا عليهم إذا دفنوا في المقابر أن تنبشهم الخوارج.

المسألة الرابعة: أنه إذا كان عملك صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، وإذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، فلابد أن يكون خالصًا صوابًا على شريعة محمد ﷺ ولذلك قال سبحانه في علماء أهل الكتاب وعبادهم وقرّائهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢ - ٤].

وهذه الآيات ليست في أهل الكتاب خاصة بل كل من اجتهد في علم أو عمل أو قراءة وليس موافقًا لشريعة

محمد ﷺ فهو من الأخسرين أعمالًا الذين ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه العزيز وإن كان له ذكاء وفطنة، وفيه زهد وأخلاق، فهذا العذر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا باتباع الكتاب والسنة، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الإرادة، فالذي يُؤتى فضائل علمية وإرادة قوية، وليس موافقًا للشريعة بمنزلة من يُؤتى قوة في جسمه وبدنه.

وروي في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يرى شيئًا، وينظر في القدح فلا يرى شيئًا، وينظر في الريش فلا يرى شيئًا، ويتمارى في الفوق**»(١).

(١) رواه ابن ماجه (٧٣٧) كتاب المساجد.

وروى في صحيح البخاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يأتي في آخر الزمان ناس حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة»**(١).

وقال رسول الله ﷺ: **«يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم»**(٢)، رواه أبو هريرة.

وقال رسول الله ﷺ: **«ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون**

---

(١) رواه البخاري (٥٠٥٨) كتاب فضائل القرآن.
(٢) رواه البخاري (٥٠٥٧) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٣/ ١١٦) شرح النووي كتاب الزكاة.

بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[١]، رواه ابن مسعود ﷺ.

وقال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي الله بأمره وهم على ذلك»**[٢]. رواه معاوية ﷺ.

قال ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي»** قيل: يا رسول الله ومن يأبي؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي»**[٣]. رواه أبو هريرة ﷺ.

(١) رواه مسلم (١/ ٦٥) شرح النووي في مقدمة صحيحة.
(٢) رواه مسلم (١/ ٢٢٨) شرح النووي، كتاب الإيمان.
(٣) رواه البخاري (٣٦٤١) كتاب المناقب، ومسلم (٤/ ٥٨٣) شرح النووي كتاب الإمارة.

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»(١).

وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم، فكل ما يحتاج إليه الناس فقد بينه الله ورسوله ﷺ بيانًا شافيًا كافيًا، فكيف أصول التوحيد والإيمان؟! . ثم إذا عرف ما بينه الرسول ﷺ نظر في أقوال الناس وما أرادوا بها، فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول، فإنه الميزان مع الكتاب فهذا سبيل الهدى، وأما سبيل الضلال والبدع والجهل فعكسه أن تبتدع بدعة بآراء رجال وتأويلاتهم، ثم تجعل ما جاء به الرسول تبعًا لها،

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام.

وتحريف ألفاظه وتأويله على وفق ما أصّلوه، وهؤلاء تجدهم في نفس الأمر يعتمدون على ما جاء به الرسول، ولا يتلقون منه الهدى، ولكن ما وافقهم منه، وجعلوه حجة لا عمدة، وما خالفهم منه تأولوه كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه، أو فوَّضوه كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وكثير منهم إنما ينظر في تفسير القرآن والحديث، وفيما يقوله موافقة على المذهب، وكثير منهم لم يكن عمدتهم في نفس الأمر اتباع نص أصلًا كالذين ذكرهم اللّه من اليهود ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥] ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افترى أولئك وهم في شك منهم، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤].

ففي الصحيحين عنه ﷺ: «**لتتبعن سَنَن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا:

يا رسول الله اليهود والنصارى؟! قال: «**فمن؟**»[1]، فهذا دليل على أن ما ذم الله به أهل الكتاب يكون في هذه الأمة من يشبههم فيه، هذا حق قد شوهد، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فمن تدبر ما أخبر الله به رسوله ﷺ، رأى أنه قد وقع من ذلك أمور كثيرة ومن زاد في الدين بشيء ما فعله الرسول ﷺ وليس عليه الصحابة والتابعون فكأنما نقص، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار** ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾»[2].

(١) رواه البغوي في شرح السنة (١/ ٢٠١).
(٢) رواه البخاري (٧٣٢٠) كتاب الاعتصام، ومسلم (٥/ ٥٢٥) شرح النووي كتاب العلم.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«ما بال قوم يتنزهون عن شيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم وأشدهم لله خشية»**(١).

وعن أنس بن مالك قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، قالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل ولا أرقد، وقال أحدهم: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر أنا أعتزل النساء ولا أتزوج، فجاء النبي ﷺ فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**(٢)، رواه البخاري.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٤) كتاب الأدب.
(٢) رواه البخاري (٧٣٠١) كتاب الاعتصام.

وقال ﷺ: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم فخذوا به**»(١).

وعن عائشة أن النبي ﷺ تلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ﴾ [آل عمران: ٧].

قال ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه ويتركون المحكم فأولئك الذين سمى الله أهل الزيغ فاحذروهم**»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: هاجرت إلى رسول الله ﷺ فسمع صوت رجلين اختلفا في آية فخرج في وجهه الغضب فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم وإختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما أستطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»(٣).

وقال ﷺ: «**من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن**

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) كتاب النكاح.
(٢) رواه مسلم (٥/ ٢١٣) شرح النووي كتاب الفضائل.
(٣) رواه البخاري (٤٥٤٧) كتاب التفسير، ومسلم (٥/ ٥٢٢) شرح النووي كتاب العلم.

له الأجر مثل أجور من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الإثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا»[1]، رواه بلال بن الحارث المازني رضي الله عنه .

وروى في صحيح البخاري ومسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[2]، وروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]. «**أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة**».

وعن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، وقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا

(١) رواه مسلم (٥/ ٥٢٣) شرح النووي كتاب العلم.
(٢) رواه الترمذي (٢٦٧٧) كتاب العلم وقال: حديث حسن.

قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لأميركم وإن كان عبدًا حبشيًا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(١)، روي في سنن أبي داود والترمذي، وقال حديث صحيح.

وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفرقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة، وستتفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين مله كلهم في النار إلا واحدة**»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**من عمل بما أنا عليه وأصحابي**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) كتاب الصلح، ومسلم (٤/ ٣١٢) شرح النووي كتاب الأقضية.

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، والترمذي (٢٦٧٦) كتاب العلم.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها**. رواه جابر مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ[1].

وعن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور قال: مررت بالمسجد، فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليّ رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث قال: أوَ قد فعلوها؟! قلت: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنها ستكون فتنة**» قلت: فما المخرج يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه**

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) كتاب العلم.

العلماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١-٢] **من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»**(١)، قوله: «**لا تزيغ به الأهواء يعني**» لا يصير بسببه مبتدعًا ضالا وقوله: «**لا تلتبس به الألسن**»، أي: لا يختلط به غيره بحيث يشبهه ويلتبس الحق بالباطل. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال ﷺ: «**إن الدين بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي**»(٢)، رواه طلحة عن أبيه عن جده.

قال ﷺ: «**من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد**» رواه أبو هريرة.

---

(١) رواه مسلم (٢/٥١٧) شرح النووي باب خطبة النبي في الجمعة.

(٢) رواه الترمذي (٢٩٠٦) كتاب فضائل القرآن.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**إنكم في زمن من ترك منكم عشر ما أمر الله به هلك، ثم يأتي زمان من عمل بعشر ما أمر الله به نجا**»[1]، حديث غريب.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: «**هذه سبيل الله**»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله وقال: «**هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نزل القرآن على خمسة وجوه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه وأمثال، فأحلوا الحلال وحرموا الحرام، واعملوا بالمحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأمر**

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٠) كتاب الإيمان.

ثلاثة: أمر بين غيه فاجتنبه، وأمر بين رشده فاتبعه، وأمر اختُلف فيه فكله إلى الله تعالى»[1].

وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب، وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»**[2].

فبين أن في الذين يقرأون القرآن مؤمنين ومنافقين، وإذا كانت سعادة الأولين والآخرين هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين، وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٧) كتاب الفتنة.
(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٢٤).

من أهل كل ملة، وهم من أهل السنة والحديث من هذه الأمة، والرسل عليهم البلاغ المبين، وقد بلغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله عليه كتابه مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، فهو المهيمن على جميع الكتب وقد بين أبين بلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين.

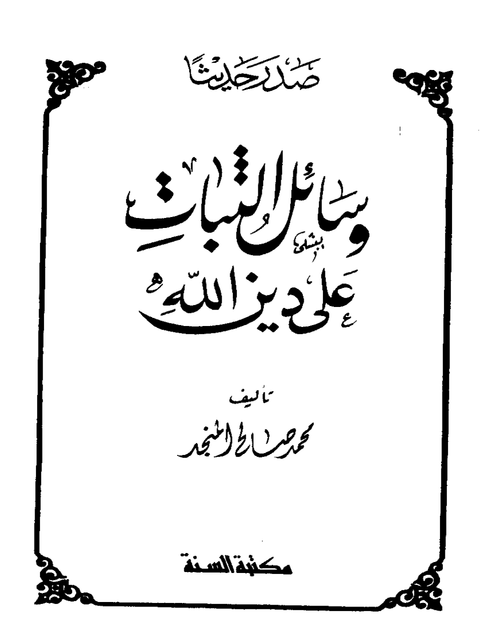
فأسعد الخلق، وأعظمهم نعيمًا وأعلاهم درجة، أعظمهم اتباعًا له، وموافقته علمًا وعملًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٧٥٦٠) كتاب التوحيد. ومسلم (٢/ ٤٥١) بشرح النووي باب فضيلة حافظ القرآن.

الفهرس

تم الصف بمركز السبيل
٠١٢٣٤٧٧٤٤٠


صدر حديثاً
وسائل الثبات على دين الله
تأليف
محمد صالح المنجد
مكتبة السنة